أوراق متناثرة

مجموعة قصصية

نوال جمعان الغامدي

اسم الكتاب: أوراق متناثرة

اسم الكاتب: نوال جمعان الغامدي

رقم الإيداع: 10651 / 2019

الترقيم الدولي: 978-977-835-114-9

الطبعة الأولى: 2019

إخراج داخلي: هيام فهيم

صادر عن: مؤسسة زَحمَة كُتَّاب / ميسون

زحمة كتاب : 15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

ميسون : الوراق – 36 شارع رحاب الإيمان

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

maysoonpublishing@yahoo.com

01205100596

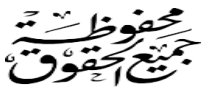

لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأيّ طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من المؤلف.

أَوْرَاقٌ مُتَنَاثِرَةٌ

مجموعةٌ قصصيةٌ

نوال جمعان الغامدي

كلمة الناشر

بعناقيد باهرة، وملامح امرأة متألقة، نُسجتْ أحرفُ هذا الكتاب، كخيوط صوفٍ مُحكمة التناسقِ، اتخذتِ الكاتبةُ أرقى حرفٍ وأجملَ طريقة خطابٍ.

كانت في أوجِ احترامها لذاتِها ولقارئِها، قدَّمتْ أجملَ الذي يمكن تقديمه، كاتبةٌ أطلَّتْ من جيلِ السبعيناتِ، الجيلِ الذهبيِّ في معتقداتِهِ وأفكارِهِ وأصالتِهِ.

إنَّنا ناشرُ هذا الكتاب.. أوراقٌ متناثرةٌ.. نفخرُ بكونه ينوبُ عنَّا في معارضِ الكتبِ وأرفُفِ المكتباتِ، وندعو الله للكاتبةِ بتمامِ التوفيقِ والنجاحِ.

الإهداء

إلى أوراقي.. تلك المُمَزَّقة..

إلى كُلِّ حُرُوفي التي بعثرها الزمانُ..

إلى كُلِّ من شجَّع الكاتبةَ الخفيَّةَ في نفسِي..

إلى نوال (أنا) التي أهملتُها كثيراً..

ها أنا الآن أُحقِّقُ حُلمكِ..

وأُهدي هذا الكتاب لكلِّ من قال:

إنّي لا أستطيعُ.

نوال بنت جمعان الغامدي

جدة 1440هـ

مقدمة

نوال.. اسمي نوال.. من جيلِ السبعيناتِ الميلاديَّةِ، سيدةٌ عاديَّةٌ وبسيطةٌ جداً، زوجةٌ وأمٌّ، ولدتُ ونشأتُ في مكة (أم القرى) أطهر بقاع الدنيا، وتربيتُ على يدِ رجلٍ لا يشبه أحداً في هذا الزمان، علَّمني كيف أكون واثقةً من نفسِي قويَّةً ولا يهزمني شيءٌ مهما كان، وأمٍّ ربَّتني على الحبِّ والحنانِ وكيف أزرعُ ورودَ العطاء لمن حولي، عشتُ في وسط إخوةٍ بهم ومعهم كانت ذكرياتي أجمل، بيتنا، حارتنا، جيراننا كانوا بسطاء من فئةٍ متوسطة الحال، وكانت سعادتنا تكتمل باجتماعنا وتكاتفنا أسرةً واحدةً.

تزوَّجتُ مُبكراً من رجلٍ عظيمٍ اهتمَّ بي واحتواني، ثم رزقنا الله بأبناءٍ وبناتٍ قد امتلأ كلُّ وقتي بهم، وبسبب هذا لم أكمل تعليمي، فقد وهبتُهم كلَّ وقتي وجهدي، وكان اهتمامي بهم وبتربيتهم الصحيحة والعناية بتفاصيلهم هو شغلي الشاغلُ.

برغم أنني لستُ بقارئةٍ جيدةٍ، ولكنني إنسانةٌ استقتْ مُحتوى كتاباتها وحروفها من تجارب الحياة وقصص الآخرين، لن تجد بين سطوري إلا بعض النصائح والعبر الصغيرة التي كانت بالنسبة لي محصلة حياةٍ بالإضافة للقصص الخيالية، ببساطةٍ أنا فقط أعشقُ الكتابةَ وأجدُ نفسي فيها، فهي تجلبُ لي الطاقة الإيجابية بعد تفريغ مكنونات نفسِي على الورقِ، ففي هذا راحةٌ نفسيةٌ كبيرةٌ لي، ويعي ما أقول من هم مثلي.

هذا أنا باختصارٍ، أم وأخت وصديقة للجميع أعلم ما في نفسِي ولا أعلم ما في أنفسِ البشرِ، أكتبُ لأعبّرَ عن ذاتِي وخيالاتِي، أكتبُ لأُفرغَ ما في داخلي، ببساطةٍ أكتبُ؛ لِأَعيشَ.

مُعْجِزَةُ رَجُلٍ

في يومٍ من الأيام وأنا أجلس مع أخواتي نتبادل الأخبار والحكايات كالعادة، فأنا أحرص دائماً على التواجد معهنَّ وأهتمُّ بمواعيد لقائِنا واجتماعِنا، ويسعدني هذا الشيء جداً فالأخواتُ نعمةٌ عظيمةٌ لا تقدَّرُ بثمنٍ أبداً.

وفي الحديث تذكرُ أختي لنا قصةً قديمةً سمعتْ بها منذ زمنٍ بعيدٍ، تكاد تكون من الخيال ولكنها حقيقيةً، فتحكي أنَّهم يقولون ونحن صغارٌ أنَّ هناك رجلٌ توفَّاه الله وتم دفنه، ولكن سرعان ما اكتشفوا بطريقةٍ ما أنَّه لم يمتْ، وحينما قاموا بنبش القبر وجدوه يتحرَّك، ولكن الغريب أنه كان يتحرَّك ولكن لا يتنفَّسُ، عندما قاموا بإخراجه من القبر ذهبوا به إلى المستشفى ليقوموا بإجراء بعض الفحوصات والكشف عليه؛ لكي يجدوا تفسيراً لحالته، وما إن كانت أجهزته تعمل أم لا، وجاءت المفاجأةُ بأنَّ كلَّ أعضائهِ لا تعملُ ولا يتنفَّسُ، فقط حركةٌ بسيطةٌ يقوم بها من الحين للآخر.

دُهش الأطباءُ من أمر هذا الرجل، فعادوا يسألون الأشخاصَ الذين أحضروه: هل كان هذا الرجل حيَّاً يُرزق أم مُتوفى ومن أين أتيتم به؟ فقالوا: إنه توفي وتم دفنه ولكن لوحظ على قبره حركةٌ

غير طبيعيةٍ وأصواتٌ تشبه التنهيدات؛ لذلك قمنا بإخراجه وإحضاره لهنا، احتار الأطباءُ في إيجاد تفسيرٍ علميٍّ لما حدث للرجل وما يمكن، هل يكون جوابهم لكل أسئلة الناس المحيرة لهم قبل أن تكون محيرةً للناس البسطاء الذين أتوا به.

خصَّصوا له غرفةً في المستشفى ومنعوا عنه أيَّ زيارةٍ ووضعوه تحت الأجهزة ولم يستطيعوا فهم ماذا يحدث معه أبداً، فبين الحين والآخر وفي أوقاتٍ غير محدَّدةٍ يُصدر حركةً بسيطةً وغير طبيعيَّةٍ تكاد تشبه إنساناً يستيقظ من نومه ليعود وينام مرَّةً أخرى، وهكذا وعلى هذا الحال جلس الرجل في المستشفى مدةً ليست بالقليلة، وعندما علمتِ السلطات بحالته خصَّصوا له مكاناً في متحف المدينة ليشاهده الناس ويبقى هناك إلى ما شاء الله، وهذا القرار جاء بعد سعيهم ومحاولاتهم التي باءت بالفشل في سبيل إيجاد تفسيرٍ لوضع هذا الرجل ويأسِهم من حالته فلا هو حيٌّ ولا هو مَيْتٌ كالأمواتِ.

شدَّتني القصةُ كثيراً وأدهشتني وقلتُ في نفسي لابدَّ أن أراه، فسألت أخواتي هل من الممكن زيارته وهل سيسمحون لنا برؤية هذه المعجزة؟ قالت لي إحدى أخواتي: يجب أن تذهبين إلى المتحف

وتطلبي منهم الزيارة حيث إن هناك شروطاً قبل الزيارة ويقومون بعمل فحصٍ طبّيٍ شاملٍ خوفاً على من يريد الزيارة من أن يحدثَ له شيءٌ، ويقومون بسؤاله بعض الأسئلة - والله أعلم -، وكلُّ هذا كما سمعنا فلم يذهب لزيارته أحدٌ نعرفه، إنها مجرد حكايةٍ يتناقلها الناس ولا ندري مدى صحتها.

أكملنا جلسة السمر أنا وإخوتي وذهب كلٌّ منا إلى منزله كالعادة، وأنا هنا أخبركم عن نفسي وعن مدى تعلُّقي ودهشتي بهذه الحكاية، ولم تمرّ عليَّ مرور الكرام أبداً ودام تفكيري فيها ذاك الأسبوع بأكمله، وأتخيَّل الرجلَ في كلِّ وقتٍ حتى في نومي فقدِ انشغل به بالي وقلبي جداً.

وفي يومٍ من الأيام قررتُ أن أخبرَ زوجي وأطلبَ منه المساعدة؛ حتى أذهب إلى ذاك المتحف، ولكن بسبب انشغاله الدائم وبُعد المتحف قال لي: انتظري إلى نهاية الأسبوع ربما أجدُ وقتاً مناسباً وذلك لكي يسايرني، وليس لأنه مقتنعٌ برغبتي ولكنني أصرَّيت عليه جداً ولم أستمع له، وطلبتُ من إحدى أخوتي مرافقتي مع ابنتي الكبيرة التي تحمَّستْ مثلي وكان لديها سائقٌ، ومن خوفي من أن أكون متهورةً وأتسببُ في شيءٍ خاطئٍ لابنتي أو أختي تردَّدتُ كثيراً، وفكرتُ في أن

أنتظرَ زوجي حتى نهاية الأسبوع، هو أفضل، ولكن للأسف لم يصدُقْ وكان فقط يعدُني ولم يفِ بوعدِهِ ويماطل كي لا يغضبني.

أخبرتُ أختي وابنتي أنني مصممةٌ على الذهاب إلى ذاك الرجل وأشاهده بنفسي، اتفقنا وحدَّدنا يوماً من الأيام وتواعدنا وذهبنا سوياً وأنا يتملَّكني الخوفُ والقلقُ على ابنتي وأختي أكثر من نفسي من صعوبة المشهد الذي سنراه، وقمت بإخبارهم أنَّه يجب أن يكونا مؤمنتين، وأن يكون قلباهما مليئين بالإيمان بالله، وأن لا يخافا ويعلمان أن الله قادرٌ على كلِّ شيءٍ، وأنه يجب عليهنَّ ذكر أذكارهنَّ وأن يتحليَّا بالقوةِ، ووضحتُ لهنَّ أنني أخاف عليهنَّ جداً من أن يصيبهنَّ شيءٌ خطيرٌ، وأنني لا أرغب في حدوث هذا أبداً، ولكنهن قاموا بتهدئتي وقالوا لي: نحن أيضاً متحمساتٌ لرؤيته ومستعداتٌ نفسياً فلا تخافي علينا وأن أنتبهَ على نفسي لأنني متحمسةٌ أكثر منهنَّ بكثيرٍ، وفي الآخر توكلنا على الله ونحن نتخيَّل شكله والمكان والوضع الذي هو فيه.

وعندما وصلنا إلى المتحف، المكان الذي هو فيه، طبعاً مررنا بممراتٍ كثيرةٍ وتفتيشٍ، وأخيراً قمنا بالتوقيع على أوراقٍ من إدارة المتحف يُخلونَ فيها مسؤوليتهم إن حدث لنا أيُّ شيءٍ، وهذا لكلِّ من يرغب الدخول على ذاك الرجل المعجزة، وقعنا على الأوراق وتوكلنا على الله ودخلنا.

أولاً: سوف أحكي لكم كيف هو المكان الذي دخلناه، فقد كان واسعاً به ساحةٌ كبيرةٌ وسقفه عالٍ جداً وجدرانه مليئةٌ بالصورِ والكتاباتِ القديمةِ والعملاتِ، وكان طرازه حديثاً وقديماً ويوجد به أشياءٌ غريبةٌ محنَّطةٌ وغير معروفةٍ يقولون إنها كانت موجودة في الزمن القديم، وبعضها من العصرِ الحجريِّ، كان المكان بارداً جداً، ومشينا في ساحة المتحف نلتفتْ يميناً ويساراً وكان الناس هناك كلهم مثلنا ينظرون بذهولٍ على كلِّ الأشياءِ والتحف الموجودة هناك.

وأخيراً وصلنا عند الرجل الذي جئنا في الأساس من أجل رؤيته، كان داخل غرفةٍ مفتوحةٍ فقط مغطاةٍ بزجاجٍ شفافٍ لكي يستطيع الزائرون رؤيته من خلاله، وقفنا ننظرُ إليه ونذكر الله من شدةِ هول المنظر، رجلٌ عاديٌّ جسمه، لونه، بشرته، طبيعيٌّ وكأنه نائمٌ

على تلك المنصةِ، ملفوفٌ بقطعٍ من القماشِ الأبيض ممزق، وعندما ذهب مني الخوف قليلاً وهدأت نفسي من التوتر وشعرتُ أنني استطعتُ أن أتكلَّم مع الشخصِ الذي يقف أمام الغرفة التي بها الرجل، سألته: لماذا لا تلبسونه ثياباً جديدةً وكاملةً لكي لا يبرد، الرجل مسكينٌ كيف يستطيع أن يحتمل برودة هذا المكان وأنا أكاد أتجمَّد منه، قطع كلامي قائلاً: هذا رجلٌ مَيْتٌ لا يشعر بشيءٍ، وفي نفس الوقت وهو يتكلَّمُ ويصفُ لي حالته لأنه يعمل في هذا المكان منذ سنواتٍ وهذا الرجل لا يتحرَّك أبداً ولم يسمع أنَّ أحداً قال غير ذلك، وأن وضعه في المتحف للعبرة فقط؛ لأن جسده لم يتحلَّلْ وبقيَ على ما هو عليه طول هذه السنواتِ الطويلةِ، وردَّ شخصٌ ثانٍ كان قد سمعنا ونحن نتحدث وقال: ما سمعتِ بهِ يا أختي كان أولَ اكتشاف وجوده في المقبرة فقط، وأنه من وقت ما جاءوا به إلى المتحف لم يتكرَّر ما كان يفعله أبداً، وكأن الله أراد هذا الشيء لحكمةٍ لا يعلمها إلا الله.

انتهيت من سؤالي ومناقشة الموضوع مع الحُرَّاس، ورجعت إلى أختي وابنتي أنتظر معهنَّ وكانا قد تسلَّل الملل إليهما من النظرِ إلى الرجلِ وقالا لي: نحن سوف نخرج إلى الخارج فقد اتَّضح لنا أن كلَّ

ما قيل عن هذا الرجل مُجرد إشاعاتٍ وكلامٍ غير حقيقيّ، وها نحن رأيناه بأنفسنا وأن المَيْتَ لا يفيقُ، لم أستمعْ لهنَّ وقلت: اخرجوا.. أنا سأبقى هنا قليلاً.

اقتربتُ من الرجل جداً رغم منع الحُرَّاس لي فهذا ممنوع، وأشاروا للوحةٍ قد كُتب عليها: ممنوع الاقتراب، شيءٌ غريبٌ في داخلي، شعورٌ لم أشعرْ به من قبل يدفعني لكي اقترب وأتلمَّس بشرة هذا الرجل، وتحوَّل خوفي وتردُّدي إلى شجاعةٍ غريبةٍ، أنا نفسي لم أكن أصدِّق أنَّني أفعل هذا الشيء أبداً، واستمرَّيت في الاقترابِ والحُراسُ يصرخون وينادون الأمن وتنطلق الإنذارات، وأنا لا أهتمُّ أبداً إلا في أن أقتربَ أكثرَ وأصلَ إليه وأنظرَ عن قربٍ.

وعندما رأيتُ وجهه فإذا به مرعبٌ جداً، بينما كنتُ أراهُ من خلف الزجاج عادياً، وفجأةً تثاءب وفتح فمه وكان كبيراً جداً، وكان وجهه مملوءاً بالترابِ الأبيض ويأخذ شهيقاً ويخرج زفيراً، خرج كلُّ من في المكان ولم يبقَ أحدٌ سواي، قام الرجل من مكانه وأنا أشاهده، وخطا خطوتين إلى مكانٍ قريبٍ منه يشبه الحوضَ به صنبور ماءٍ، هذا كله وأنا أقفُ في مكاني مُتجمدةً ومذهولةً من رهبة المنظر الذي أمامي، غسل يديه وقدميه ومسح على رأسه وكأنه يتوضأ.

وعندما انتهى التفت إليَّ وإذا بوجهه عاد طبيعياً وقد بدا وسيماً وابتسم لي، يا الله ما هذا الموقف الذي أنا فيه مهما أخبرتكم لن أستطيعَ وصف شعوري حينها، وعندما ابتسم لي وكأنه أرسل لي شيئاً من خلاله في نفسي أهمه الاطمئنان والهدوء، وقال لي كلمةً واحدةً: (شكراً) ثم استدار وخطى خطواته الثابتة ورجع مكانه ثم جلس وابتسم لي مرةً أخرى، واستلقى مكانه ورجع للوضعية الأولى التي كان عليها، وفي تلك اللحظة خطر على بالي أنه سوف يتحدَّثُ معي ويستيقظ من غيبوبته ويعود يتنفَّسُ من جديدٍ، وكأنه في خيالي قد عاد للحياة، ولكن للأسف لم يحدثْ أيُّ شيءٍ مما توقعتُ، وعاد كما رأيناه أوَّلَ مرَّةٍ.

سكتتْ صافراتُ الإنذار، ورجع الحُرَّاسُ والناس الذين خرجوا من قبل، وعاد كلُّ شيءٍ إلى وضعه الطبيعيّ وكأنَّ شيئاً لم يكن، أو كأنَّ ما رأيته كان حلماً، أخرجوني من المكان الذي كنت فيه بقرب الرجل، ووَّجهوا لي اتهاماتٍ كثيرةً منها: أنني أخرقُ القوانين وأعبثُ بمحتويات المتحف ومنعوني من التواجد هناك نهائياً.

خرجتُ لأبحثَ عن أختي وابنتي، ووجدتهن في دهشةٍ من أمرهم خائفين عليَّ خاصةً عندما انطلقت صافرات الإنذار وقالوا: كان هناك لصوصٌ في الداخل حاولوا سرقة المتحفِ، وجاءت الشرطةُ وانقلبتِ الدنيا رأساً على عقبٍ، وسألوني: أين كنت؟ ولماذا لم أخرج وقتها؟ قلتُ لهم إنني كنت في دورة المياه وخرجتُ بعدهم ولم أرَ شيئاً، وأنا أقول في نفسي: هل أقول لهم الحقيقة وأخبرهم بما حدث وبما رأيتُ؟ ولكن هل كانوا سيصدقونني؟ وأنتم أيضاً هل صدقتموني؟؟

مُعَاق ..

يقولون زمن المعجزات ولَّى وذهبَ، وإنَّ هذا الزمان لا يحمل في طياته إلا الصعابَ والمشقةَ إلى أن يحقق حلمه، ولكن أنا اليوم سأثبتُ لكم أنه لم ينتهِ، وأن الله - سبحانه وتعالى - كبيرٌ وكريمٌ يرزق من يشاء متى يشاء.

انظروا إلى قصَّتي أنا، ربما تجدون ذلك وبكلِّ وضوحٍ، أنا فتاةٌ بسيطةٌ، ولدتُ ونشأتُ وتربيتُ في كنف أبي وأمي - يرحمهما الله - ومع أخواتي وإخوتي حياة جميلة بكلِّ مراحلها طفولة ولله الحمد، مروراً بمرحلة الشباب، ثم النضوج وها أنا ذا أتجاوز الأربعين عاماً، اليوم متزوجةٌ من رجلٍ طيّبٍ وكريمٍ، رزقنا الله أبناء، مشكلتي ومن صغري أنني أحبُّ كل الناسِ بصدقٍ ومشاعري جياشةٌ، الحبُّ في قاموسي غير كلِّ الناس أو الكثير من الذين صادفتهم في حياتي، وقد أتعبوني وأرهقوا مشاعري كثيراً، والبعض منهم حاول تحطيمي، المهم أنني كبرت وأنا أنثر الأحاسيسَ الجميلةَ وأبذر الحبَّ والحنانَ في كلِّ مكانٍ أكون فيه ومع كائنٍ من يكن، قد يبادلونني الشعور والقليل القليل.

زوجي هو حبي الكبير، أحبه بكلِّ ما بقلبي، وألتمس له الأعذارَ برغم وجود اختلافاتٍ كثيرةٍ بيننا بسبب اختلافنا على الأغلب في وجهات النظر، إلا إنني أسامحه كثيراً، فلولا ذاك الحب والعطاء الكبير الذي أكنُّه له من مشاعر وعواطف وأحاسيس سعياً مني في أن يستمر هذا الزواج، كما أنني في الوقت ذاته لا أنكر حبَّه لي وحرصه على إسعادي؛ لكي لا نخسر بعضاً وخصوصاً أنَّ أبناءنا يحتاجوننا سوياً، فهم أكبر نعم الله - تعالى - وأهمُّ شيءٍ في حياتنا، تهمُّنا راحتهم وسعادتهم وكلُّ حياتهم من جميع النواحي، فأنا أرى أن نفسياتهم أهمُّ من الشكلِ الخارجيّ، مشاعرهم مهمةٌ والتعامل معهم بكلِّ حرصٍ، كما أنني أغرسُ بهم عزة النفسِ والثقةِ بالذاتِ، وقناعتهم من جميع مغريات هذه الدنيا، المهم والأهم أن بناتي وأولادي هم زهرة حياتي، أحببتهم الحبَّ الكبيرَ كما أنني لم أحبّ في حياتي، وأحاول بكلِّ قوتي وجهدي أن لا أنقصَ واحداً منهم، أن أدخر كل ما أملك لهم حتى وإن كان ذلك على حساب أي شيءٍ يخصني أو صعب المنال، أحاول أن أمنحهم كلَّ وقتِي وجهدِي وصحتِي، ولكن قدِ اختلف كلُّ هذا وتغيَّر في هذا الوقت رغماً عني؛ لأنني بتُّ أشعر بالإرهاقِ الشديدِ والتعبِ، كلُّ أمٍّ تعي معنى كلامي

إن كانت مثلي شديدة الغضبِ والمحبةِ في ذات الوقت ولكنني لم أكن يوماً أنانيةً أبداً، أي أنني لم أحب أبنائي وعالمي ومنزلي فقط، بل كنتُ أحبُّ إخوتي وأخواتي وصديقاتي وكلَّ من تعرفت عليهم وقابلتهم ولو بالصدفة ولو لوقتٍ قصيرٍ، فقد كان هذا الشيء لا إرادياً أبدً، أنا وبكلِّ وضوحٍ أجيد صياغة الحبِّ وعطائه ولا أحمل بقلبي ذرة حقدٍ واحدةٍ تجاه أيِّ أحدٍ، ولا تسكنني مشاعرٌ بغيضةٌ من الغيرةِ أو الحسدِ أو غيرها من الصفات التي يحملها الكثير - كان الله في عونهم -، فلا شيء يدعو إلى ذلك في نظري وإن حصل وغضبتُ فأنا بشرٌ في الآخر فلا يتجاوز غضبي بعضاً من الوقت فقط، فدموعي وكتاباتي تساعدني كثيراً للتخلُّص من ذاك الغضب لكي يزول ولا يقترب من قلبي أو يمسَّه أو يعكِّر صفوه، وكأن لديه مناعةً كبيرةً ضد تلك المشاعر السلبية، فقد خلقه الله لكي ينبض بالحبِّ وليكون أبيض كبياض الثلج منذ خُلقتُ وحتى أموتُ، يا رب قلبي المسكين الذي لا يعرف سوى المحبة والعطاء سبب لي مشاكل كثيرة وكبيرة، لدرجة أنَّ الكثير من أقاربي وحتى الأصدقاء يتهمونني بأنني من دون عقلٍ ولا أفكر، وأن قلبي وعاطفتي هما اللذان يوجهاني ويتحكمان بي في أيِّ موقفٍ في حياتي، وأنني حساسةٌ

وعاطفيَّةٌ أكثر من اللازم فهذا لا إرادي بالنسبة لي، هكذا أنا ولن أستطيع أن أكون غير أنا.

في يومٍ من الأيام كنت ذاهبةً إلى مجمعٍ خيريٍّ يساعد في التوظيفِ ويساعد الشبابَ والشاباتِ لكي يجدون ما يناسبهم من عملٍ، بينما كنت متجهةً إلى الإدارة كنت أصعد الدرج وأشعر أن هناك من يراقب خطواتي من بعيدٍ، التفتُ هنا وهناك كي أرى هل إحساسي هذا حقيقيّ؟ وإذ بي أرى شخصاً يختفي ولا يريدني أن أراه، جلست على الكرسي أمام مكتب المدير وكانت معي ابنتي وأختي الصغرى نتحدَّث مع مديرة المجمع ونستعرض أوراقنا؛ لكي تساعدنا في الحصول على وظيفةٍ مناسبةٍ، فجأةً شعرت بأن المديرةَ مرتبكةً وجاءت لديها سكرتيرتها تهمس في أذنها، لا أدري بم تهمسُ؟ نهضتِ المديرة وذهبتْ هي والسكرتيرةُ، تساءلنا أنا وابنتي وأختي: ما الذي حدث وأجمعنا أن هنالك شيئاً غريباً يحدث من نظرات المديرة وموظفتها، ولكن كان أملنا أكبر من تلك الأحداث ودعواتنا في أن نحصلَ على وظائفٍ مناسبةٍ وأن لا نعود كما أتينا، عادتِ مديرةُ المجمع وقالت بنبرةٍ مختلفةٍ عن التي كانت حدَّثتنا بها قبل خروجها: تفضلوا.. ماهي نوعية الوظائف التي ترغبون في شغرها؟

وزاد اهتمامها بنا وأخذتْ أوراق أختي وابنتي ثم وعدتهنَّ أن تجدَ لهنَّ وظائف مناسبة، وقالت: أبشرن إن شاء الله، حاولتُ أن أفسِّر موقفها ولكن بدون جدوى ثم طلبتْ مني أن أذهبَ معها إلى الغرفةِ المجاورةِ فسألتُ عن السببِ، قالت: إن هناك من يريد رؤيتك، لا تقلقي، لن نتأخَّرَ، وأخذت تقنعني بإلحاحٍ شديدٍ وبكلِّ احترامٍ، وأنا أرفض وأتحجَّجُ بأنني تأخرتُ ويجب أن أعودَ إلى المنزل لأنَّ زوجي وأبنائي ينتظروني.

بعد إلحاحٍ شديدٍ منها ومن ابنتي وأختي قالوا لي: خمس دقائق لا بأس بها وحتى لا يخسرن وظائفهن التي وعدتْ بها مديرة المُجمع، وبالآخر وافقتهنَّ وذهبتُ مع المديرةِ والتساؤلات تدور في رأسي، ما سبب كل هذا الإلحاح؟ ومن هو الشخص الذي يريد أن يراني؟ ولماذا؟

دخلتُ إلى الغرفةِ المجاورةِ لغرفة المديرةِ ولم يكن بها أحدٌ، كانت غرفةً كبيرةً فاخرةً جداً وغريبةً جداً أيضاً، جلستُ والدهشة تتملَّكني وعادتِ التساؤلاتُ: لماذا أنا هنا؟ وما الذي سيحصلُ؟ وما هذا المكانُ؟، وفجأةً دخل شابٌّ صغيرٌ في السنِّ مقعدٌ على كرسيٍّ متحركٍ، أصابتني دهشةٌ وأصاب عقلي بالشللِ وعقد لساني، جاء

أمامي بكرسيِّه المتحركِ ينظر إليَّ بنظراتٍ غريبةٍ لم ينظر إليَّ أحدٌ من قبل بهذه الطريقة، نظراتٌ لم أجد لها تفسيراً، وأنا أبادله النظر بصمتٍ.

وعندما استفقتُ من الحالة التي انتابتني إذا به يقول لي (أنا أحبك) كلمة سمعتها كثيراً ومن أشخاصٍ كثيرين، ولكن لم أشعر بهذا الإحساس من قبل، قوةٌ وعظمةٌ وصدقٌ كان في تلك الكلمة، نظرةٌ حنونةٌ، مشاعر، وأحاسيس تملأ عينيه الدموع، وكأنه يطلب مني شيئاً عظيماً، لا أدري فأنا في هذا الوقتِ متجمدةً في مكاني مشلولة العقل والحركة لا أدري ماذا فعلتْ نظراته بي!

دخلتِ المديرةُ وابنتي وأختي والرجل الذي يساعده في تحريك الكرسيِّ فقلتُ: ماذا يحدث؟ سكت الجميعُ ولم يتكلَّم أحدٌ منهم، وقال لي: أنتِ حبُّ حياتي فذهلتُ وخاصةً أنه تمادى في الكلامِ وأمام ابنتي وأختي، ماذا يريد مني؟ أنا زوجةٌ وأمٌّ وكبيرةٌ في السنِّ، لستُ في المكانِ المناسبِ، وقلتُ في نفسي: لا الوقتُ ولا المكانُ مناسبان، ما هذا الذي يجري؟ وما تفسير تصرفات هذا الرجل؟ وماذا يريد منِّي؟ وكيف يقول بأنه يحبُّني وأنا لم أراه في حياتي من قبل ولم أصادفه حتى ولو بالصدفة؟، قلبي يخفق بشدةٍ وكلما

زادت نبضاته زاد ارتباكي ولم أدرِ كيف أخذت بيد ابنتي وأختي وأنا أقول لهن: هيا بنا نذهبُ من هنا قبل أن أغضبَ من هؤلاء الناس، ولا أعرف ماذا يريدون مني، ارتباكٌ شديدٌ وحيرةٌ وشعورٌ غريبٌ لا أدري كيف أتغلَّبُ عليه، أخذتني المديرةُ إلى مكتبِها وهدأتني وناولتني كأساً من الماء وقالت لي: لا تغضبي سوف أوضحُ لكِ الأمرَ ولكن قبل كلِّ شيءٍ أريد منك أن تهدئي وسوف تُقدِّرين موقفي وتتفهمين، حاولتُ أن أهدأَ ولكن لا أعلمُ ماذا حصل لقلبي الذي كاد يخرج من مكانه بسبب شدةِ نبضاته، مرَّ قليلٌ من الوقت وهدأتُ قليلاً فقامت المديرةُ تسرد لي قصة الشخصِ المقعدِ، وأنا لا زلتُ أرتجفُ ويتملَّكني شعورٌ غريبٌ وألتفتُ لأختي وابنتي، أجدهنَّ في حالة خوفٍ عليَّ وعيناهما تمتلئ بالدموع وهنَّ يحاولنَ مساعدة المديرة في تهدئتي.

وبدأتِ المديرةُ في الحديث قائلةً: هذا الشخصُ الذي رأيتِه، هذا مالك هذا المجمع، هنديّ الجنسية ومن أغنى أغنياء الهند، رجل أعمالٍ ولكنه يعاني من إعاقاتٍ كثيرةٍ من ضمنها: إعاقة صعوبة في الكلام، وأنا أستمعُ إليها وهي تسرد لي قصة هذا الرجل وإذا به يسترق النظر إليَّ من خلال الفاصلِ بين غرفة المديرة ومكتبه،

فقلت لها وماذا تريدون مني؟ وما علاقتي في كل هذا؟ ولماذا قال تلك الكلمات؟ وكيف قالها وهو يعاني من صعوبةٍ في الحديث؟ ردتْ قائلةً: هذا الرجل كله حبٌّ وعطاءٌ وحنانٌ، وفي نفس الوقت محرومٌ من كلِّ هذا، فلم يجد بحياته من يبادله كلَّ ذلك، وأنه عندما رآني صاعدةً إلى مكتب المديرةِ خفق قلبُه لي، وأنه رآني حبّه الضائع الذي يبحث عنه، والحياة السعيدة التي لطالما انتظرها، نهضتُ من الكرسيِّ وقلتُ لها بصوتٍ منخفضٍ كي لا يسمعني ولا أتسببُ في جرح مشاعره: ماذا تقولين؟ وما هذا الكلام التي تتلفَّظين به؟ ألا تعلمين بأنني متزوجةٌ ولدي أبناء وبنات وابنتي هنا موجودةٌ أمامك؟ كيف تتجرَّئين وتتكلَّمين بهذه الطريقة أمامها؟ ألا تخجلين؟، وبينما أنا أتكلَّم معها وأحاولُ أن أوضِّح لها موقفي، دخل هو من الباب وقال لي: بكلِّ احترامٍ وبنبرةٍ كلها هدوءٌ ووقارٌ (لا أعلم)، شعرت بأنني لا يجب أن أجرحه ولا أصدمه لا بكلامي ولا بتصرفاتي وألتزم الهدوء أكثر، ورأيته رجلاً مسكيناً وذوي احتياجاتٍ خاصةٍ لا يريد مني سوى أن أبادله مشاعره وأن أحبه، قال لي وباسمي أنا أحبك ولا أريد منك شيئاً، ارتحت لك وأريد منك لو قطراتٍ من مشاعرك، أنا لا أريد منك سوى أن لا تبعديني عنك

ولا تبتعدي عني أبداً، ابقِ معي فأنا أحبك، وقلبي يريدك أن تأخذيه وتسعديه وتبعدي عنه الشقاء والحزن الذي أتعبه، أشفقتُ وحنَّ قلبي عليه فحالتُهُ وشكلُهُ لا يسمحان لي أن أتركَه وأذهبَ عنه فدنوتُ إليه، ونظرتُ في عينيه وتبادلنا الكلامَ والأمانيَّ والأحاسيسَ قبل أن أنطقَ بأيِّ كلمةٍ، وعندما شعرتُ بنفسي وأن الجميع يراقبني قلتُ له: كيف أبقى معك؟ أنا متزوجةٌ ولديَّ أبناءٌ ولا أستطيع أن ألبِّي رغباتك، وأنني سوف آتي إليه بين الحينِ والآخرِ لكي أطمئن عليه، وشعرتُ وأنا أواسيه وأعتذرُ منه أنَّ قلبي ينفطرُ عليه فقد جذبني إليه وبقوَّةٍ، ورحتُ أتساءل في نفسي ما الذي يحدثُ لي؟ ما هذا الشيء الذي أشعر به تجاهه؟ أعنِّي يا اللهُ، لا أستطيعُ أن أتركه وأنا أرى أنه إنسانٌ يحتاج إليَّ بكلِّ ما تحملُ الكلمةُ من معنىً، شيءٌ شعرت به في داخلي قبل أن يتكلَّم هو، رفض كلامي بشدةٍ وقال: إما أن تجلسي معي وإما أن أذهبَ أنا معكِ، وكأنه طفلٌ متعلِّق جداً بأمه ولا يستطيع مفارقتها، يبكي ويرجوني ويتوسَّلُ إليَّ، ماذا أفعلُ والكلُّ من حولي في صمتٍ مهيبٍ؟ لا أعلم ماذا أصابهم.

اعتذرتُ إليه ومن المديرة، وحاولت الخروج ومعي ابنتي وأختي ولكنه لحق بنا وقالي لي: أيها القلب الحنون أين تذهبين وتتركينني؟ سوف أموتُ قهراً لو خرجتِ بدوني، يا ربي.. ماذا أفعلُ؟ وكيف أتركه وهو يبكي ومتعلقٌ بي لدرجةٍ جنونيةٍ؟ وكيف آخذه إلى بيتي؟ وماذا سأقول لزوجي وأولادي وبناتي؟

حاولت المديرة أن تتكلَّم معهُ ومن معه من حرسٍ وحارساتٍ، ولكن بدون جدوى، متأثرٌ جداً وغاضبٌ ويصرخ فيهم ويقول: ابتعدوا عني، لا أريدكم، أريد حبيبتي.. أريدها هي فقط.. ولا أرغب في أيِّ شيءٍ من الدنيا وما فيها، لا أريدها أن تذهبَ إما أن تجلسَ معي أو سوف أذهبُ معها أينما ذهبتْ، هدأتُه وهدأتُ الجميع وقلت له سوف آخذه معي.

نظر إليَّ مرةً أخرى بنظراته تلك التي لم أجد لها أيَّ تفسيرٍ غير الذي فسرته سابقاً، نظراتُ حبٍّ واحتياجٍ، ومحاولة مني في تهدئته لمسته بيدي وإذا به يمسك بيدي ويقبِّلها فأصابني الحرج من الجميع ودفعت كرسيَّه المتحركَ متجهةً نحو الباب، وحمله حارسوه حتى باب السيارة التي كانت تنتظرنا في الخارج، وكان بها

ابني فقال لي: ما هذا يا أمي؟ من هذا الرجل؟ قلت له: لا عليك يا بنيَّ سوف نستضيفه في بيتنا يومين.

نظر إليَّ الرجلُ وقال: حبيبتي عمري وحياتي، لم يقلها بلسانهِ بل نطقتْ بها عيناه التي لم تفارقني أبداً.

ذهبنا إلى المنزل والكل يتساءلُ من هذا؟ ولماذا يأتي إلى منزلنا؟ للأسف.. لا أستطيع الإجابة على الجميع، واصطحبته إلى جناحِ الضيوفِ وتركته هناك ولا زالت نظراته تلاحقني، أتى زوجي ولما علم بأمر الرجل قلت له إنه مسكينٌ معاقٌ ويحتاج إلى أن يحنَّ عليه أحدٌ، يبدو عليه التعبُ النفسيُّ ويجب أن نتحمَّلهُ لمدةٍ أقصاها يومين فقط؛ حتى يأتي أهله من الهندِ ويأخذونه، وقلت له أيضاً: هو رجلٌ غنيٌّ جداً وأهله كذلك ولهم مكانةٌ ومركزٌ مرموقٌ في بلادهم، تعلَّق بي عندما رآني، ربما أذكِّره بأمِّه أو بأحدٍ ما من عائلته، وبقاؤه لن يكلفنا شيئاً دعنا نكسب في رعايته هذه اليومين أجراً، وسأكون مسؤولةً عنه مسؤوليةً تامةً، أنت فقط لا تُظهر له أنَّك لا تُحبِّذْ وجوده أو منزعجٌ منه.

دخل زوجي على الرجل، نظر إليه وقال له: أهلاً وسهلاً وخرج وأقفل الباب وقال لي: ولكن ليس من الصحيح بقاء رجلٍ غريبٍ في

منزلنا، فنحن لدينا بناتٌ آنساتٌ وهذا لا يجوز، فقلت له: إن هذا الرجل من ذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ ولديه صعوبةٌ في الحركةِ ولن يتعدَّى حدوده مع أحدٍ، صدقني.. فهو لا يستطيع أن يخدمَ نفسه فقد أتى معه الشخص الذي يهتمُّ به وسيبقون في جناحِ الضيوف، قال زوجي: حسناً.. أنتِ المسؤولةُ أمامي إن بدر منهم أي شيءٍ، قلت: موافقة.

ذهبتُ لأحضر لهم بعض الطعام، وحينما جهز أخذه زوجي لهم وتمنى لهم ليلةً سعيدةً، ثم ذهبنا جميعاً للنوم وشعرت بمشاعر غريبة؛ لوجوده تلك الليلة معي في نفس المنزل، ولكن دون أن أراه أو يراني فقد رفض زوجي ذلك قائلاً: لا أريد أن يَفتحَ عليه الباب أيُّ أحد غيري وإن احتاج إلى شيءٍ أنا أحضره له بنفسي، وافقتُ وقلتُ في نفسي: المهم أنه يقبل ببقائِهِ ولا يطرده من المنزل ويتعبُ الرجلُ ويحرجني معه.

لم أنم تلك الليلة أبداً، وأنا أفكر في الذي حصل وأحاول أن أفسِّر لنفسي الذي جرى لي وله، وما هذا الشيء الذي أشعر به تجاهه؟ وما الذي يدور في خاطره تجاهي؟ وماذا يحصل له؟ وهل هو نائمٌ؟ أم مستيقظٌ؟ هل أكلَ أم لم يأكل شيئاً خاصةً أنه لم يرَنِيْ منذ

لحظة وصوله لمنزلي، فقد تركتُه وانشغلتُ في أمور البيت ورعاية أبنائي وزوجي.

وفي صباح اليوم التالي استيقظنا على صوت مجموعةٍ من الناس والسيارات التي تحمل له إفطاره وملابسه وأشياءً يحتاجها، فقد علمتُ مؤخراً أيضاً أنه مريضٌ بمرضٍ خطيرٍ ينتظر الموتَ في أيّ لحظةٍ فهو يعاني من آلامٍ شديدةٍ ويعيش لحظاته الأخيرة.

خرجتُ مع زوجي وأبنائي وجلسنا معه، ونحن نشاهد ذلك الإفطار الفاخر الذي قد طلبه لنا جميعاً، فتناولنا الإفطارَ في ذهولٍ أنا وزوجي وأبنائي، وقال لنا: هذا مقابل كرمِ استقبالكم والسماح لي بالمبيتِ في منزلكم، خجل زوجي من نفسه ومن تصرفه وطريقة معاملته له مقابل لطفِ الرجلِ المسكينِ، ولكن لاحظ نظرات الرجل لي طوال الوقت وهمس لي: أنا لستُ مطمئناً لنظرات هذا الرجل لكِ، فهو لم يبعد عينيه عنك، قلتُ له: أليس من العيب عليك أن تشكَّ في رجلٍ معاقٍ لا يستطيع حتى خدمة نفسه؟ استعذْ من الشيطان وصفِّ نيتك وحاول أن تتعاطف معه ومع حالته.

وبعد أن انتهينا من الإفطار الرائع الذي قدَّمه الرجلُ لنا، طلب مني الرجل أن آتي إليه وأجلس إلى جانبه، تردَّدتُ كثيراً وأنا أنظر إلى زوجي الذي لم يعجبه طلب الرجلِ فخرج غاضباً، وذهبتُ إليه وحاولتُ تهدئته، ثم رجعتُ إلى الرجلِ لأجلس إلى جانبه كما طلب مني.

يا الله ما هذه النظرات؟

لم أعد أستطع أن أتحمَّل وأخفي الذي بداخله تجاهي فاقترب مني وهمس، لا أريد أن أبقى هنا، زوجك لا يريدني ويكرهني مهما حاول أن يخفيَ ذلك، قلت له: بالعكس، وحاولتُ أن أشرحَ له غير الذي يعتقدُ ولكن لم أفلحْ، عندها قال: أنتِ لا تستطيعين الكذب فأنتِ متأكدةٌ أن شعوري تجاه زوجكِ صحيحٌ وصادقٌ وأنا أحبكِ، ارتبكتُ وقلتُ له: اصمتْ كي لا يسمعكَ تقول هذا الكلام، قال: هذه هي الحقيقة التي لا يمكنني إخفاؤها، قلت له: حتى أنا، فصمتَ قليلاً وهو يتأمَّلني ونظرات الفرحِ تتراقص من عينيه ووجهه: أعلمُ ذلك، نعم أنا أعلمُ، قلتُ له: ما الذي تعلمهُ قال لي: أنك تحبّينني أيضاً كما أحبكِ، ولكن لا تستطيعين لفظها وأنا لا أريدُ ذلك، أنا أشعرُ بها وهذا يكفيني، حاولتُ أن أضمَّهُ وأقبّلهُ في

ذلك الوقت ولكن لم أستطع فعلها، هذا المسكين لا يريد من الدنيا غير أن أُبادله حبه فقط، هذا الشيء الذي تمنيته وأنا أملك كلَّ الحبِّ والعطاءِ الذي يكفي لاحتواء العالم بأكمله، وهذا الشخص هو الذي يستحقُّ فعلاً مني كلَّ ذاك الحبِّ والعطاءِ.

عيني في عينيه.. اشتبكنا ببعضٍ لدرجة أننا لم نشعرْ ما الذي يحدث حولنا؟ الكلُّ غادر الغرفة ولم يبقَ سوى أنا وهو، ويدانا تتعانقُ وأصبحنا لبعضِنا البعض ككتابٍ مفتوحٍ واضحٍ للآخر، قرأ كلٌّ منا قصةَ الآخرِ بكلِّ حذافيرها، حبٌّ ضائعٌ أتى في توقيتٍ غير مناسبٍ، حبٌّ كبيرٌ يملأُ العالمَ بأسرِهِ محبةً ومشاعر فياضةٍ.

فجأةً أتى إلى منزلنا أهله وإخوته وأخواته وأمه المسكينة التي كانت متلهفةً لرؤية ابنها المريض ذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ، الذي عانى وتعب في حياته من جميع الذين حوله، نهضت من جانبه وعيناها ترجوني بعدم الذهاب وأن أبقى هنا بجانبه، وتعلقتْ عيناهُ بي لدرجة أنَّه لم يلاحظْ أنَّ الغرفةَ قد امتلأتْ بأهله وأقاربه، وأنا أرحبُّ بهم وهم يحاولون التكلُّم بالعربيةِ بصعوبةٍ وببعض الكلماتِ البسيطةِ.

المهم طلبوا من ابنهم المغادرة من منزلنا إلى منزلهم وأنهم قد أثقلوا علينا، ويكرّرون الاعتذارَ بسبب تطفُّلهم ومكوث ابنهم لدينا، وأنا أحاولُ أن أشرحَ لهم أنه مرحبٌّ به وبهم، وأنهم لم يضايقونا بوجودهم، لم يستمعوا أو لم يستوعبوا ما قلته لهم وحاولوا إخراجه من منزلنا ولكنه رفض ذلك وقال لهم: أن يذهبوا هم ويتركوه عندنا وأنه لا يريد مغادرة منزلي مهما حدث، دخل زوجي في هذا الوقت وطلب منهم أن يتركوه لدينا يوماً آخر حتى تهدأ أعصابه قليلاً، وأنا في حيرةٍ من أمري، بيدَ أنَّني أريده أن يذهب معهم كيْ أرتاح من مطالبة زوجي لي بعدم المكوث معه وعدم الشكِّ بي و به.

وفي ذات الوقت أتمنى أن لا يذهبَ ويبقى معي للآخر، فهو رجلٌ مريضٌ سيغادر الدنيا بين اللحظة والأخرى، ولا يجوز القسوةُ عليه التي تبدر من زوجي وتصرفاته من جهة، ومن أهله من جهةٍ أخرى، ماذا أفعلُ؟

وقفتُ إلى جانبه صامتةً والدموع تتساقط من عينيّ خوفاً عليه من أن يحدث له مكروهٌ بسببهم، فصرختُ في وجههم جميعاً بعد أن طفحَ بي الكيلُ وقلتُ: لن يذهب إلى أيِّ مكانٍ، سوف يبقى عندنا، وإن أخذتموه من هنا سوف أذهب معه وأبقى إلى جانبه حيثما

يكونُ، نظر إليَّ الجميعُ والدهشةُ تتملكهم وساد الصمتُ قليلاً ثم قال لي: أتذهبين معي إن أخرجوني من منزلك بالإجبار؟ فقلت له: نعمْ، نعمْ.. لن أفارقك أبداً وسوف أظلُّ معك أينما كنت، بكى المسكين وحاول أن يمسك بيدي ولم يستطع، فاقتربتُ منه ومسكته بكلِّ قوَّتي وبكلِّ قواه تمسَّك بي، وكأننا عاشقَينِ لا يستطيعان مفارقة بعضهما أبداً.

خرجوا جميعاً وخرجتُ معهم وكأنني وحيدة ليس لي أحدٌ غيره في هذه الدنيا، خرجتُ برفقته والكلُّ يعارض ذلك زوجي وأبنائي، وأنا أقولُ لهم دعوني أذهبُ معه هو يحتاجني أكثر منكم، وفي وسط ذهولٍ واستغرابٍ من الجميع تركوني أمضي معه وأذهبُ، ركبتُ السيارة بجانبه وهو ينظرُ إليَّ ويمسك بيدي وكأنني الأملُ الوحيدُ له في الحياة بل وكأنني أنا الحياة بما فيها بالنسبة له.

وبعيونٍ تملؤها الدموع، ووجهٍ مليءٍ بالفرح، وبعد السير بطريقٍ لم نشعر به كلينا، وصلنا أخيراً إلى منزله، وما إن دخلنا لم يعرف ماذا يقدم لي؟ وكيف يكرمني ويقوم بواجبه في ضيافتي؟ والعمل على إيجاد كلِّ ما يسعدني ويبعث الراحة لي وكأنني ملكةٌ تدخل إلى مملكتها، ويوجِّه الجميع ويأمرهم بخدمتي وتلبية جميع رغباتي.

يا الله.. ما الذي يحدثُ؟ وكأنني أعيش داخل حلمٍ، كيف حدث ذلك وأنا روحي وقلبي متعلقان بعائلتي وبيتي؟ وأذهب مع رجلٍ غريبٍ لم أعرفه في حياتي، ولم أقابله سوى من يومٍ أو يومين، أهذه المعجزة التي يتحدثون عنها ويقولون إنها لم تعد موجودة؟ ها هي تحدث معي اليوم، ولا زلتُ أسأل نفسي:

ما الذي يجذبني إلى هذا الرجل؟

أهو الحبُّ الحقيقيُّ الذي أبحث عنه طيلة حياتي؟

فرغم كلِّ الحبِّ الذي منحتُه لمن حولي، لم يبادلني أحدٌ هذا الحبَّ بالقدر الذي يهديني إياه هذا الرجل، وأجد نفسي فقيرةً تجاه هذا الحبِّ وهو أغنى الأغنياء بذاك الحبِّ الكبيرِ العظيمِ، الذي أحبني بدون سببٍ ولا أيةِ مصلحةٍ سوى أنه يبحث عن الحبِّ الصادقِ ولم يجده إلا معي أنا، ويريدني أن أبادله ذلك.

ماذا يحصل لي من هذا الرجلِ المسكينِ؟ وماذا أفعل هنا معه؟ هو حساسٌ جداً ولا يستطيع أحدٌ أن يكذبَ عليه وخاصةً أنا، فلم أكذب أبداً في حياتي، ولا أعرفُ الكذبَ، وعندما أجد هذا الرجل الصادق في كلِّ شيءٍ وأنا أحاول أن أكذب عليه؛ لكيلا أجرحه أو أتسبَّب في حزنه، خاصة وهو متعلقٌ بي مثل الطفلِ الصغيرِ البريءِ

الذي لا يجد الأمان إلا بقرب أمِّه، ولا يعرف الراحة إلا معها، تركت نفسي على طبيعتها والله يتولاني برحمته ويعينني على الموقفِ الصعبِ الذي أنا فيه الآن.

جلس الجميعُ حولنا، والكلُّ فرحٌ ومسرورٌ بي؛ لأنني جئتُ مع ابنهم ولم أكسره ولم أتركه يعاني معاناةً جديدةً، ربما تكون هي الأخيرة بالنسبة له، أخذ الجميع يتحدث ويحكي، وأنا أستمع إليهم وعندما أنظر إليه أجده لا يبعد عينيه عني، وكأنه وجد كنزاً يتباهى به أمامهم.

فرحتُ بنفسي وانتابني بعض الغرورِ، ولكن في ذات الوقت قلبي غير مرتاحٍ وشعوري بعدم الراحة للموقف، والخوف من أن يحدث شيءٌ غير متوقعٍ لي وله.

وبينما نحن مع بعضنا ونتحدَّث تأتي عيني في عينه، ويهمس قائلاً (أحبك)، وأنا سعيدةٌ وشعرتُ بأنه يملك الدنيا وأنا بجانبه، فجأةً جاء لأهله خبر وفاة خالته في الهند، وأنهم يجب أن يستعدوا للسفر لحضور مراسم الدفنِ والعزاءِ، خفتُ وانقبض قلبي ولكن قلت: الحمد لله، ربما هذا هو الخبر الذي كنت متخوفةً منه، وأن كل شيء قد انتهى وهذا الحلم سينتهي.

قرر أهله أن يعيدوه إلى المجمعِ الطبِّيِّ الذي كان فيه؛ كي يطمئنوا عليه عندما يسافرون، وحتى ينال العنايةَ والرعايةَ الصحيةَ اللازمةَ لحالته هناك.

هذا الخبرُ أزعجه كثيراً وبقي الليل بأكمله بجانبي وأنا وأهله حوله، إلى أن يأتيَ الصباحُ المجهولُ بالنسبة لنا وله، وأن أهمَّ ما يشغله هو كيف سيتمكَّن من البعد عني، وأنه لا يريد ذلك مهما كلفه الأمرُ، وأنا أحاول أن أهدئ من روعه، وأحاول أن أغيِّر الموضوع، ولكن دون جدوى فتعلُّقه بي شديدٌ جداً، وأنا لا أريدُ أن أتركه أيضاً، ولكن ليس بيدي شيءٌ غير انتظار معجزةٍ أخرى مثل هذه المعجزة تجمعنا مرةً أخرى، وما أصعب الفراق مهما كان نوعه أو طريقته.

أُمٌّ لَمْ تُنْجِبْ

تمرُّ علينا أوقاتٌ من الصعب أن تُنسى، وتبقى في الذاكرةِ، نتذكَّرها بين الحين والآخر، ومن هذه الذكرياتِ المؤلمةِ عندما كنت في زيارةٍ لمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعد الانتهاءِ من صلاة العشاء حين عودتي إلى الفندق، وقبل أن أخرجَ من ساحة الحرم، استوقفني طفلٌ صغيرٌ جداً لا يتجاوز الأربع سنواتٍ تقريباً، وهو يبكي بشدةٍ وبطريقةٍ تُمزق القلب، وعينه تنظر هنا وهناك وهو يمشي مُسرعاً، حاولت الإمساك به محاولةً مني أن أهدئ من روعه، وأحتضنه وحتى أساعده في البحث عن أهله أو والدته، ولكن للأسف لم تكن أقدامي تساعدني في اللحاق به وهو يركض ولا يقف أبداً.

تألمتُ جداً لحاله وطلبت من بعض من هم حولي مساعدته، وأنا أحاول ذلك وإذا بفتاةٍ شابةٍ تمسك به وتحمله وتقبّله، وكأن الله - سبحانه - بعثها له ليهدأ ذلك الطفل ويطمئن قليلاً، ذهبت إليها وقلت لها هل تعرفين هذا الطفل؟ قالت لا، لا أعرفه ولكني رحمته ورحمة حالته وأردت مساعدته، الفتاة من بنات بلدي الحبيب

والطفل كان من الجالية الهندية أو الباكستانية وكان ذلك واضحاً من الزيِّ الذي يلبسه.

حاولت أنا وهي أن نفهم منه أي شيءٍ، اسمه أو اسم أمه أو أبيه ولكن بدون جدوى أبداً، الطفل يستمرُّ في البكاء والخوف بعينيه، وكان منظره يفطر القلب ولكن لم نفهم منه شيئاً، اجتمع الناس حولنا ومن كل الجاليات وكان بعضهم يتحدَّث مع الطفل ولكنه يرفض النظر إليهم والتحدث معهم.

جاء رجل الأمن وطلب منا أن نترك الطفل ولم نستمع له أبداً دون أن يخبرنا أولاً ما هو مصيره وأين سيذهب به؟ تفهَّم الرجلُ الوضعَ الذي نحن فيه ومدى خوفنا وقلقنا على الطفل وقال: يا أخواتي الفاضلات هذي الحالة ليست بالأولى ولن تكون الأخيرة، وتحدث كثيراً وخاصةً هنا بسبب الازدحامِ الشديدِ للناس، ونحن عندما نجد أطفالاً أو مثل هذا الطفل المسكين عندما يجده الناس الطيبون أمثالكم، نأخذه ونذهب به إلى قسمٍ خاصٍّ عندنا في الشرطة، خاصٍّ بالأطفال التائهين ونقوم بالعناية بهم حتى يأتي ذووهم للبحث عنهم، وبعد تأكدنا من جميع الإجراءات اللازمة

لصدق كلامهم نسلِّمهم أطفالهم وينتهي الموضوع، هذا ما يحدث لمثل هؤلاء الأطفال.

وأثناء حديثه معنا تأتي سيارة الشرطة لتقوم بأخذ الطفل منا وهو يبكي ويرفض ولكن بدون أي جدوى من ذلك، وهذا الموقف المؤلم للطفل والذي قد آلمني كثيراً أنا والفتاة المسكينة التي كانت تحمله طوال الوقت وترفض أن يمسَّه أحدٌ وكأنه ابنها.

في الحقيقة كانت شابة طيبة القلب وحنونة جداً، حزنت عليها وحضنتها وقبَّلتها؛ لأنها كانت تبكي وسألتها:

هل أنتِ أمٌّ؟

قالتْ: أنا لم أتزوَّج بعد.

يا سبحانك يا رب.. هذه هي الأنثى التي خلقها الله، أمٌّ بالفطرة، دعوت الله أن يرزقها بالزوجِ والذريةِ الصالحةِ، وانتهى الموقف وذهبتْ كلٌّ منَّا في حالها، ولكن لا زلتُ أذكرها في نفسي وأدعو لها، وكم كنتُ أتمنى لو طلبتُ منها رقم هاتفها لكي أتواصلَ معها وأطمئنَّ عليها.

الصَّاحبُ ساحبٌ

(الصَّاحبُ ساحبٌ) مقولةٌ سمعناها من آبائنا وأجدادنا، وهي حقيقيةٌ وواقعيةٌ أيضاً، لذلك تجد السيئ يجلس مع الصالحين ومع مرور الوقت يصبح مثلهم أو أحياناً أفضل منهم، وعلى العكس عندما تجد الصالح يجلس مع السيئين، ومع مرور الوقت يسوء ويصبح مثلهم، من اتخذهم أصحاباً له وربما يصبح أسوء منهم، فمن تربى تحت رعاية والديه وناظريهم ومن اهتمَّ أهله بصحته الجسدية والعقلية وقاموا بتعليمه أحسن تعليم ولم يتركوه للطبيعة والحياة هي التي تقوم بدورهم في التربية وكيف ما كان يكون.

وعلى العكس هناك السيئ الذي ربَّته الحياة فعلاً ولم يكن والداه يهتمُّون به ولا في أيِّ شيءٍ أبداً، وهنا يتأكَّد لنا مقولة (الصاحب ساحب)، ورغم كلِّ حرص الآباء على أبنائهم وتحذيرهم من صحبة السوء، وأنهم يجب أن يتعلموا كيف يقومون بعملية تكوين صداقاتٍ لهم بمن هم مثلهم أو أحسن منهم لكي يحصلوا على الصحبة الجيدة السليمة.

ولكن نجد هذا التغيير والانحراف للأبناء وتسببهم في خيبة أمل والديهم باتخاذهم أصحاباً ورفقةً سيئةً، يحدث كثيراً للأسف ويقع اللوم على الآباء غالباً للأسف، احذروا أحبتي أبنائي وبناتي، وكلَّ من يقرأ كلماتي البسيطة العفوية، احذروا، فصحبتهم لا تفيدكم بأيِّ شيءٍ ولا يصلحوا بأيِّ شكلٍ من الأشكال أن يكونوا لكم رفقاء؛ نظراً لسوء تصرفاتهم أو لرداءة ألفاظهم، فقد تنجرف مع مرور الوقت، وقد تتحدَّث وتتصرَّف مثله أو أسوأ؛ لكي تستمرَّ صداقتك به ويعجب بك، لا تصلوا إلى هذا الحد وانسحبوا وأخرجوهم من حياتكم نهائياً قبل أن يتمكنوا منكم أكثر وأكثر.

وارفقوا على أنفسكم وعلى آبائكم، فخيرٌ لكم أن تكونوا بلا أصدقاء من أن تصادقوا من هم يتسبَّبون في إسقاطكم أو خسرانكم أنفسكم وأهليكم، وعاودوا البحث فربما ستجدون في يومٍ من الأيام من يستحقُّ أن يلقَّب بلقب الصديق أو الصاحب، وهذا لا يعتمد على الزمنِ ولا الوقتِ ولا المكانِ، فربما تجمعك الأيام لحظات بشخصٍ يفهمك ويقدِّر صداقتك، ربما.

ودائماً ترك ما يغضب الله والوالدين يأتي بعوضٍ كبيرٍ من الله سبحانه، متى وكيف؟ الله وحده من يعلم ذلك، دع كلَّ من يراك يشكر فيك ويدعي لمن قام بتربيتك ويتمنى أن يكون صديقاً لك أو أن يتعرَّف عليك ويحظى بالقليل من الوقت معك.

المودةُ والرحمةُ

المودةُ والرحمةُ جعلها الله - سبحانه وتعالى - في قلوب البشر؛ ليتراحموا ويرحم بعضهم البعض دون النظر لأيّ شيءٍ آخر يشير للعنصرية لفئةٍ دون أخرى، مثل ديانته أو جنسيته أو لونه أو قبيلته.

فالرحمةُ عندما توجد في قلب أيّ إنسانٍ لا يرى كلَّ هذه الأمور، فهنيئاً لمن وجد به هذه الصفات العظيمة في قلبه وتعامل مع الغير بها، فالرحمةُ صفةٌ من صفات الله - سبحانه - وقد وضعها في قلوب البشر؛ ليرحم بعضهم البعض، ولكن للأسف بعض الناس اختفت من قلوبهم، لا أعلم ما هو السبب.

فإن قلت إنَّه بسبب بعدهم عن ربهم وعدم أداء واجباتهم تجاهه، فقد نجد في بعض الناس من هم يعتنقون غير الديانة الإسلامية ويعاملون بعضهم بعضاً بكلِّ أنواع الرحمة، تجدِ المودة بينهم والوفاء، إذاً ما هو السبب يا ترى؟ أهم تربَّوا على القسوة وعوملوا بجفاءٍ من قبل محيطهم العائلي وتربَّت في قلوبهم القسوة وعدم الرحمة؟ أم أنهم يجدون في تعاملهم المتعجرف وإظهار بعض القسوة سلاحاً لكي يهابهم الناس ولا يستغلونهم؟ أم ماذا؟ حيرني

هذا السؤال وكنتُ رأيتُ صديقتي وأنا معها في أحد الأماكن العامة تتأفَّفُ من كثرة الأطفال والكبار أيضاً وهو يملؤون الأماكن يطلبون المساعدة والصدقة من المارة ومن الذين كانوا يجلسون مثلنا لاحتساء القهوة.

نهرته صديقتي وقالت له: إن رأيتك هنا مرة أخرى سوف أستدعي لك الأمن، اذهبْ واعملْ واسعَ لجلب رزقك ولاتكن عالةً على المجتمع أنت وأمثالك، ذهب الرجل وهو مكسور الخاطر والدموع تملأ عينيه فقد كان صوت صديقتي عالياً؛ لأنها كانت متضايقةً من هذا الوضع، قمتُ ولحقت به واعتذرت منه عن صديقتي وقلت له لم هذه الدموع وما هي قصتك؟

وكانت قصة هذا الرجل تنزل عليَّ مثل الصاعقة، الرجل كان شاباً في العشرينات تقريباً، دارت الدنيا عليه دون أن يشعرَ وأسقطته من نعيمها لجحيمها، فقد كان من عائلةٍ غنيَّةٍ مُرفَّهةٍ، هو وأخته يعيشان في نعيم وخير والدهما ووالدتهما، ويسكنان في منزلٍ فاخرٍ ولديهما أفخم السيارات والسائقين والعاملات اللاتي كنَّ يعملون في منزلهم، وفجأة مرضت أمهما بالمرض الشديد، مرض السرطان المستعصي، وذهب بها والده إلى أفخم المستشفيات وأكبر الاطباء

الكبار وصرف على علاجها مبالغ كثيرةٍ، ولكن أراد الله أن يختارها بجواره ليفقد والده عقله ويجتمع حوله من لا يخافون الله وسلبوه كل شيءٍ، وبقي هو ووالده المريض بفقدان عقله وذهاب ذاكرته وأخته التي لا يتجاوز عمرها العشرة أعوام في الشارع ليس لهم أحدٌ لا من الأقارب ولا من هم كانوا يتنعَّمون بخير والديه، أمه - رحمها الله - ووالده الذي لم يتحمل موتها وتعب تعباً شديداً حتى ذهب عقله، وجاء جيرانهم بمختصين من المستشفى أو المصحة العقلية وأخذوا والدهم وهو يبكون ويصرخون ولا أحد يرحم حالهم أبداً، ولم يكن لهم أيُّ قريبٍ يريد أن يتحمَّل مسؤوليَّتهم، فهم ما زالوا صغاراً ويحتاجون إلى عنايةٍ ومصاريف، تركوهم للقدرِ المجهولِ، وبعد عدة أيام وجدهم صديقٌ لوالدهم كان لم يعلمْ عن كلِّ ما حدث لصديقه بسبب أنه كان خارج البلاد، تألَّم لحالهم وأخذهم إلى بيته وطلب من زوجته أن تعتنيَ بهم وتعاملهم مثل أطفالها وقصَّ عليها قصتهم، وقال لها أريد أن نبقيَهم معنا حتى نكسب فيهما الأجر من الله، ولكن لم تكن زوجة صديق الوالد مثله أبداً، فقد رفضت الاعتناء بهم وقالت له: اذهب واعثر لهم عن

أيٍّ أحدٍ من أقاربهم ليتحملوا هم مسؤولية هؤلاء الاطفال وأنها بالكاد تستطيع العناية بأطفالهم.

أخذ صديق الوالد الشابَّ وأختَه، وذهب بهم إلى عمِّهم فقد كان يعرفه، وقبَّلهم العم خوفاً من أن يقول عنه الرجل أنه ترك أبناء أخيه ولم يعتنِ بهم، وخصوصاً عندما أتى بهم صديق والدهم إلى بيته وهو يعلم أنه لا يعلم عنهم شيئاً، وأنه قد تركهم في الشارع لمصيرٍ مجهولٍ، وقد أسمعه بعض الكلام وذكَّره بأخيه وكيف أنه لم يكن يبخلُ عليهم وكان دائماً يساعدهم ويقف إلى جانبهم، وأن ترك الأطفال للمصيرِ المجهولِ وهم لهم أقارب لا يجوز وحرامٌ، وخصوصاً أنهم في بلد غربةٍ وليس لهم أحدٌ بعد الله غيرك.

يقول الشابُّ: قبلنا عمي عنده ولكن كان يعاملنا وما زال معاملةً سيئةً جداً، ولكن أنا وأختي تفهَّمنا وضعنا وسلمنا أمرنا لله وبقيت أختي مثل العاملةِ المنزليةِ لزوجةِ عمي وبناتها، وأنا كنت السائق والذي يجلب كلَّ طلبات عمي وزوجته وأبنائه وبناته والحمد لله، رضينا بكلِّ شيءٍ فقط مقابل أن يكون لنا مكانٌ نتواجد به وأفضل لنا من المكوث في الشوارع، وفي هذا اليوم عندما شاهدتك أنتِ وصديقتك التي نهرتني وتكلمتْ عليَّ دون أن تعلمَ عني شيئاً.

عندما رأيتكما تذكرتُ أمي كيف كانت تأتي إلى هذه الأماكن، وكيف أنها كانت تتصدَّق على من أصبحتُ أنا مثلهم بسخاءٍ وكرمٍ، وجئت إليكما دون قصدٍ مني للشحاذة وطلب أيِّ شيءٍ سوى فقط رؤية وجه أمي فيكما، ولم أقل شيئاً يغضب صديقتك أو أختك التي معك، مسكت بيده وطلبت منه السماح والمعذرة وأن صديقتي كانت منزعجة قليلاً ولكن لم تكن أنت السبب أبداً، ذهبت به إلى صديقتي وقد كانت هدأتْ قليلاً وقلت لها هذا الشاب ليس شحاذاً بل كان يشبِّهنا بوالدته المتوفاة- رحمها الله- ولم يكن يقصد إزعاجك أبداً.

بادرتْ صديقتي أيضاً بالاعتذارِ من الشابِّ وطلبت منه أن يسامحَها وأنها لم تكن تقصده هو بنفسه، بل إنها ترفض ظاهرة التسول هذه، ولا يجب انتشارها بهذه الطريقة، سلَّم الشابُّ علينا وقبل اعتذارنا وسوء فهمنا بوضعه، ومضى وأنا أنظر إليه وأدعو الله أن يتولانا ويتولاهم هو وأخته برحمته.

هذه القصة هزَّتْ مشاعري وآلمتني كثيراً طبعاً، وأتساءل في نفسي لماذا سوء الظن دائماً هو من يحكم الناس؟ قبل أن يخطئوا في حق بعضهم البعض، نعم نحن بشر خطاؤون ولسنا ملائكة أعرف

ذلك، ولكن قليلٌ من الرحمة والمودة لا يضرُّنا، بل بالعكس يؤلّف بين قلوبنا ولا يترك في أنفسنا ولا من نتعاملُ معهم من الندم والتحسر عندما نعلم أننا قد أخطأنا بحقِّ أحدٍ، ونزرع الحب والاحترام في قلوبنا وقلوب من نتعامل معهم فمن لا يَرحم لا يُرحم، ودائماً حسن الظن بالناس حتى وإن خيَّبوه فينا يُنجينا ويُشعرنا بالراحة لنا أجرنا ولهم عكس ذلك.

كلُّ شيءٍ يتغيَّر وكلُّ شيءٍ متوقعٌ أن يحدث، لم نعد كما كنا في السابق في هذا الزمان، كلُّ شيءٍ يحدث وممكنٌ، لا مجال لكلمة مستحيل، العالم يتغير يوماً عن يومٍ، وكل ما كان غير ممكنٍ أصبح ممكناً، وكلُّ صعبٍ كان في السابق أصبح الآن ممكناً وعادياً.

فنحن في زمنٍ لا أعرف كيف أصفه إلا إنه زمن التغيرات، أجد الناس فيه غير الناس الذين كنت أعرفهم في السابق، أفكارهم وآراؤهم، كلامهم، تصرفاتهم تغيرت، وعذرهم أنهم يواكبون التقدُّم والحضارة، وما يخيفني هنا سوى السرعة في تغيراتهم وتحولاتهم، هؤلاء الفئة من الناس ويتفنَّنون في مغالطة أنفسهم وإقناعها أنهم على صوابٍ فكيف بي وأنا أعاتبهم وجهاً لوجهٍ.

كلُّ ما أتمناه لهم من الله الصلاح والهداية، وأطلبُ منهم التريُّثَ وعدم الاندفاعِ وراء المظاهر الكاذبة ومراجعة أنفسهم ومحاسبتها وردعها لكيلا يهلكون ويهلكُ من هم معهم وتولوا مسؤوليتهم.

الحياة حلوةٌ بكلِّ ما فيها من بساطةٍ واعتدالٍ ومحافظةٍ على العادات الجيدة الموروثة لنا من الآباءِ والأجدادِ ولا بأس بدمجها والنهوض بها ومعها.

تَفَاءَلْ .. وَلَا تَتَشَاءَمْ

اضحك ولو ليس من داخل قلبِكَ ..

إذا أردتَ شيئاً أو كان عندك هدفٌ تريدُ أن تصلَ إليه وتحقِّقه فلا تتوقَّف، وحاول مرةً ومراتٍ ولا تستسلم، ولا تستمع للمتشائمين الذين يهتمُّون فقط بإحباط وتحطيم الآمال عند الناس، واعلم أنهم في نفس الوقت هم من يحسدونك ويتمنون أن يكونوا مثلك، ولكن ليس عندهم ما عندك من طموحٍ ورغبةٍ في تحقيق آمالهم، ولا يستطيعون الصمود مثلك.

ابتعد عن مثل هؤلاء من البشر، ابتعد عن الناسِ السلبيِّين الذين لا يحرِّكون ساكناً ويتخوَّفون من التجديد والتغير والطموح إلى الأفضلِ دائماً،

غامرْ وتحدَّى نفسك أولاً وتحداهم، ولا تقف ولا تتراجع وخصوصاً عندما يكون هدفك للنجاح أو الوصول إلى الشيء الذي ترغب في الوصول اليه لا يغضب الله في شيءٍ.

كن مع الله يكن معك، راقبِ الله في كلِّ حركاتِكَ وسكناتِكَ، اعمل بجدٍّ في الحياة ولا تنسَ دينك والعمل لآخرتك، ولا تخشَ سوى الله وحده.

بالجد والمثابرة وترك كلام الناس والقيل والقال سوف تصل لما تريد وستنجح بإذن الله، ولن يخذلك ربُّك ما دمت تثق به وتؤمن بأن كلَّ شيءٍ بيده، وأن الله يحبُّ من هو يعمل ويجتهد لإصلاح نفسه وزيادة رزقه، ولا يحبُّ من هو غير ذلك >

اعمل بجدٍّ وأمانةٍ مهما كان نوع عملك ولا تترك مجالاً لأحدٍ مهما كان أن يقلِّل من شأنك، فأنت إنسانٌ خلقك الله في هذه الدنيا للعبادة وللعمل وليس لتكون عالةً على أيِّ أحدٍ مهما كانت صلةُ قرابتِهِ لك، وعندما تملأ وقتك وحياتك بالعبادة والعمل تكون بذلك ملأت وقتك وقلبك وفكرك بما يرضي الله عنك وتكون قد سلكت الطريق الصحيح.

الارتباك والشعور بالصراعات في داخلنا صراعٌ بين الصحِّ والخطأ بين القلب والعقل، من يتحكم فينا من يقيدنا؟ في الغالب العقل هو الذي يصدر الأحكام ويتغلَّب على القلب، ويكون وقتها الإنسان عاقلاً وشجاعاً، أو يقول الناس عليه ذلك فقد حكَّم عقله ولم يستمع لقلبه، عقلاني عليه ولكنه بينه وبين نفسه يوجد صراعٌ لأنه لم يستمع لقلبه ولم يرحم نفسه وقلبه، والبعض الآخر يستمع لقلبه ويصدر أحكاماً عاطفيةً ويكون في نظر الناس

مسكينٌ عاطفيٌّ أو غلبت عليه عاطفته، وأيضاً هذا الانسان بينه وبين نفسه صراعٌ لأن عقله يقول له لو فكرت قليلاً ولم تستمع لقلبك، كلُّ إنسانٍ لابدَّ أنَّهُ مرَّ أو سيمرُّ عليه صراعاتٌ نفسيةٌ بين قلبه وعقله في أمورٍ كثيرةٍ في الحياة، وخصوصاً عندما يجب عليه أن يختار بين شيئين أو أمرين لا ثالث لهما، تعبٌ نفسيٌّ شديدٌ جداً. ولاكن ما الحل؟ وماذا نستطيع أن نفعلَ كي نتداركَ هذه الأمور ونبتعد عنها قدر الإمكان ولكيلا نُجهد أنفسنا بشيءٍ أو أشياء لا حول لنا فيها ولا قوة، من واقع تجربتي في الحياة أقول لكم الحلَّ:

الحلُّ هو أن نستخيرَ الله أولاً وأخيراً في أيّ موضوعٍ أو أمرٍ يُحيّرنا ولا نعرف ماذا نعمل، إذا كان ممكنٌ أخذ مشورة المقربين جداً منا مثل الأبِ أو الأمِّ أو الأخِ أو الأختِ أو صديقٍ مقربٍ ومخلصٍ إن وجد، وأن نتوكَّل على الله وحده ونمضي بكلِّ ثقةٍ بالله ونختار الشيء أو الأمر الذي نريد ونرى أنه الصحيح مهما كانت نسبة الاختيار، إن كان صحيحاً أو خطأً فهذا شيءٌ بيد الله وحده، فقد عملتَ ما عليك وعملتَ بالأسباب، فاتركِ الأمر بعد ذلك لله فهو من سوف يختار لك ما هو أفضل وأحسن مما تتوقع، فقط ثق

بربك واعقلها وتوكل وأرح نفسك من هذه الصراعات وهذا العناء، والمهم والأهم أنك تكون راضياً وترضى بما اختاره الله لك وقدَّره، وقلْ لنفسك قدر الله وما شاء فعل واحمد الله دائماً في السراء والضراء، فهذا الشيء الذي إن فعلته سوف تقوم بتهذيب نفسِك وترويضِها وتعويدِها على الاعتماد على الله والتوكل عليه دائماً في جميع أمور حياتك، وقتها لن تعرف أيَّ صراعٍ بينك وبين نفسِك أو بين القلب والعقل؛ لأنَّك رضيتَ وارتضيتَ بما كتبه الله لك وعليك.

تَرْبِيَةُ الأَبنـاءِ

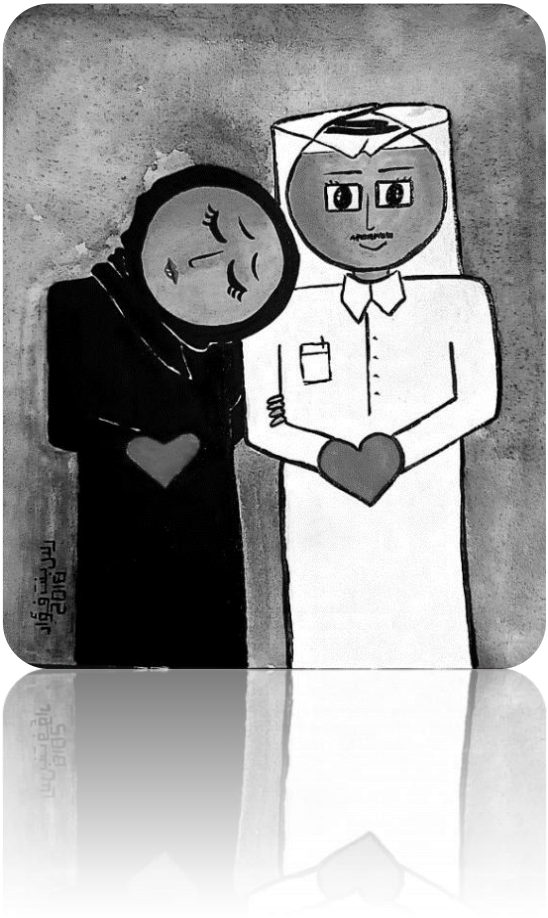

تربيةُ الأبناءِ مسؤوليةٌ ومن أصعبِ المهامِ لدى الأمِّ، والأبِ أكيد طبعاً، ويسعى الآباءُ والأمهاتُ جاهدين وحريصين على توفير احتياجات أبنائهم ولو كلَّفهم ذلك حرمانهم من أشياءٍ كثيرةٍ قد يحتاجونها هم لأنفسهم، وتكون الأولوية للأبناء، هذا ما كنَّا نفعله مع أبنائنا ولا زال بعضُ الآباءِ والأمهاتِ في هذا الزمن يفعلون ذلك مع أبنائهم.

للأسف.. هذا الفعل خاطئ ولا يجلب للأمِّ والأب إلا الندم، لماذا؟ لأنَّ من تعوَّد على الأخذ لا يعرف معنى للعطاء، ومن تعوَّد على توفير كلِّ احتياجاتِه له يصبح اتكاليَّاً وانتهازيَّاً ويطالب والديه بكلِّ شيءٍ ويعتبر كلَّ معاناتهم وتعبهم شيئاً عاديَّاً وأنه واجبٌ عليهم.

وهذا للأسف حقيقيٌّ، وواقعٌ مرَّ به ولمسه كثيرٌ من الآباءِ، وخصوصاً من وهو طفلٌ كان ينقصه كلُّ شيءٍ بسبب سوء المعيشة في السابقِ وصعوبةِ الحياةِ؛ لأنهم يظنون أنَّهم يعوِّضون ما كان ينقصهم في أن لا ينقصَ أبناءهم، وأنَّ توفير احتياجات أبنائهم تُشعرُهم بأنهم يقومون بواجبٍ مفروضٍ عليهم، وهذا غير صحيحٍ، والاعتدالُ في كلِّ شيءٍ ضروريٌّ جداً، وأنَّ لكلِّ زمنٍ ناسه،

وأنه يجب على كلِّ أمٍّ وأبٍ أن لا يستمروا في هذه التصرفات غير الصحيحةِ، وأن يتوقَّفوا عن تلبية كلِّ ما يُطلب منهم من أبنائهم.

وضروريٌّ جداً أن يتشاركوا مع أبنائهم في كلِّ ما هو مهمٌّ وأهم، والحديث معهم وشرح ظروفهم لهم وقدراتهم، ولا يجب أبداً أن تضغط الأمُّ على الأبِ أو العكس، أو أن يتحمَّلوا فوق طاقتهم لمجرد إرضاء الأبناء بدون علمهم، حتى وإن كان الآباء ميسوري الحال وباستطاعتهم توفير كلِّ ما يحتاجه أبناؤهم فليتوقف الجميع عن هذه الأفعال غير الصحيحة أبداً، وليتعوَّدوا على الاعتدالِ والتفاهمِ والحوارِ بينهم وبين أبنائهم ومشاركتهم في كلِّ شيءٍ، فالزمن يتغير والحياة تزداد صعوبةً ومهما يبذل الوالدان من عطاءٍ يكاد لا يبين بعين الأبناء، إذا لم يفهم ويتفهَّم الأبناء هذا العطاء كيف يكون.

ولكن يكون أفضل وأجمل وأنسب للآباء والأبناء أن يتقاسموا كلَّ شيءٍ، وكل منهم يعرف حدود الآخر وقدراته لكي تعمَّ الرحمةُ والمودةُ والهدوءُ والسكينةُ بيوتنا ومجتمعاتنا ونرقى جميعاً، كلُّ فردٍ في الأسرةِ يعلم ما هو واجبٌ عليه ومن حق كلِّ فردٍ في الأسرة التمتُّع بالحياة والمشاركة في السراءِ والضراءِ مع أفراد الأسرة.

في كثيرٍ من الأسر نجد الآباء يعانون بينما الأبناء متنعِّمين بكلِّ شيءٍ أو العكس، نجد الآباء والأمهات كلٌّ منهم يعيش حياته مع الأصدقاء ومع الأخوات والإخوة تاركين الأبناء يعانون من الإهمالِ والفراغِ العاطفيِّ الذي يفتقدونه من والديهم وهم يعتقدون أنهم وفروا لهم كلَّ ما يحتاجونه من كمالياتٍ في ظنهم أن هذا هو ما يحتاجه أبناؤهم.

الآباءُ والأمهاتُ في حاجةٍ لأبنائهم، والأبناء يحتاجون الأمَّ والأب في المشاعرِ والاحتواءِ والحوارِ ومشاركةِ الأحاديثِ والجلوسِ معاً دائماً في جوٍّ عائليٍّ أسريٍّ تعمُّه الرحمةُ والألفةُ والمشاعرُ والأحاسيسُ الجميلةُ التي تسند كلَّ أسرةٍ وتعينها على تخطِّي ما يصادف أفرادها من صعابٍ، والمشاركة والمحبة والفرح سوياً، أدام الله على كلِّ بيتٍ وكلِّ أسرةٍ الألفةَ والمحبةَ والسعادةَ.

ليسَ كلٌّ ما يُعرف يقال

ليس كلُّ ما يعرف يقال، أحياناً كثيرة يبوح لك صديقٌ مقرَّبٌ أو أحد الأقارب بشيءٍ في خاطره، أو موقفٍ مرَّ به في يومٍ من الأيام، وينسى مع الأيام أنه باح لك أو قال لك ما قال، لمجرَّد أنه كان يرتاح للحديثِ معك، أو لربما أنه كان يثق بك وأراد أن يتحدث معك لمجرد البوح عما في خاطره، أو لربما أراد أن يخبركَ بطريقةٍ غير مباشرةٍ أنه ارتاحَ لكَ ووثقَ بك؛ لكي يقول لك ويحكي ما بخاطره من مشاعر وأحاسيس ربما لا يتجرَّأ أن يحكيها لغيرك لأنك منحته هذا الشعور الجميل لمباشرة الحديث معك.

مواقف كثيرة تحدث مشابهة لمثل هذا الموقف، وأغلب من مرَّ بها خاب ظنُّه وانتابته الصدمة؛ لأنَّ البعض قد لا يحافظ على خصوصية السرِّ الذي تحكيه له، لم يلجمْ لسانه لم يحفظِ السرَّ، بل أخبر الناس بما حدَّثه به هذا الصديق أو القريب.

ولو أنك تريثتَ قليلاً وقدَّرتَ الشخص الذي أسرَّ لك بمكنون سرِّه في لحظة ضعفٍ منه ومعاناته، لكنتَ نعم المحافظ على الأسرارِ ونعم القريبِ الوفيّ.

الفهرس

كلمة الناشر	5
الإهداء	7
مقدمة	9
مُعْجِزَةُ رَجُلٍ	11
مُعَاق ..	23
أُمٌّ لَمْ تُنْجِبْ	45
الصَّاحبُ ساحبٌ	51
المودةُ والرحمةُ	57
تَفَاءَلْ .. وَلَا تَتَشَاءَمْ	67
تَرْبِيَةُ الأبناءِ	73
ليسَ كلُّ ما يُعرف يقال	79
الفهرس	83